المجلة الجزائرية للدّراسات الإنسانية
EISSN: 8506-2716
ISSN : 2716-7984
المجلد 03/ العـدد: 01 (السنة2021)، ص ص 64– 83

سيمياء الشّخصيات : القوة و الدّلالة

(رجال في الشّمس لغسان الكنفاني) أنموذجا.

The anemia of the characters: strength and significance (Men in the Sun by Ghassan Al-Kanafani) as a model

أ.بن جديد جمال[1]
المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة
bendjedid.djamel@cuniv-naama.dz
تاريخ الاستلام:2020/12/08 تاريخ القبول: 2020/12/27 تاريخ النشر:2021/10/30

ملخص: يحاول الباحث في هذا المقام البحث عن (بنية الشخصية) في الخطاب الأدبي، و عن كيفية اشتغال الشّخصيات في النص الروائي، وتتصف الشّخصيات بوضع سيميائي متميّز، ينقل القارئ من مستوى دلالي إلى آخر، وذلك نظرا للثّراء الّذي تتميّز به الشّخصيات بنية ودلالة ووظيفة في النص الإبداعي وستحاول هذه الدراسة الكشف عن بناء الشخصية في رواية (رجال في الشّمس) لغسّان الكنفاني وذلك بالاستعانة بما أفرزته جهود الباحث (فليب هامون) حول ثلاثة محاور مهمة هي، النموذج العاملي و دال الشّخصية و مدلولها.

وما ترومه هذه الورقة البحثية هو توضيح السمات الجمالية للشخصيات الواردة في رواية غسان كنفاني، وإلى أي مدى استطاع الروائي اختيار شخصياته الروائية ودوالها؟، مستأنسين في ذلك بالمنهج السيميائي الذي يساعدنا على الوصف والتحليل.

كلمات مفتاحية: سيمياء الشخصية، قوة الدلالة، العوامل، غسان كنفاني.

Abstract: In this regard, the researcher tries to search for (the structure of personality) in literary discourse, and on how the characters operate in the fictional text, and the characters are characterized by a distinct

[1]– الباحث المرسل.

semiotic status, which moves the reader from one semantic level to another, due to the richness that the characters are characterized by structure and significance And a function in the creative text, and this study will try to uncover the character structure in Ghassan Al-Kanafani's novel (Men in the Sun), using the results of the researcher's efforts (Philip Hammon) on three important axes: the global model and the characteristic and its meaning.What this paper aims to clarify the aesthetic features of the characters contained in Ghassan Kanafani's novel, and to what extent was the novelist able to choose his fictional characters and their functions ?, relying on that with the semiotic method that helps us to describe and analyze..

Keywords: chemistry of personality; power of connotation; factors; Ghassan Al-Kanafani.

1 تقديم نظري:

تعدّ الشخصية أهمّ ركائز العمل الروائي، بل إنّها مركز استقطاب مجمل أبعاده الفنية، وذلك لاعتماد كلّ عنصر فيه بشكل أساس على فاعلية نشاطها الحيوي عبر ما تصدره من أقوال و أفعال تتبلور على إثرها أحداث الرّواية المترابطة. و((يظلّ الفعل بعيدا عن كونه حدثا فنيا إلا إذا تفاعل مع الشّخصية))، و هذا ما جعل الناقد الفرنسي رولان بارث يؤكد على أهمية الشخصية في العمل الأدبي بقوله (يمكننا أن نقول إنه ليس ثمّة قصّة في العالم من غير شخصيات) (نقلة، 2011،ص:37) ، و يعزز ذلك أيضا رأي تودوروف إذ يقول: (تبدو لنا الشخصيّة تلعب دورا من الدرجة الأولى، وإنّه انطلاقا منها تنتظم العناصر الأخرى).(نفسه،ص:34)

ونظرا للأهمية القصوى الّتي يتمتّع بها هذا المكوّن الرّوائي جعلت العديد من الباحثين اللّسانيين و السيميائيين يهتمون بتحليلها و دراستها، و ما سنعرضه في هذا المقام هو تصوّرات ثلاثة باحثين كبار يعود لهم الفضل الكبير في تأسيس ما يسمى بالسيميائية السّردية و هم : فلادمير بروب و الجيرداس جليان غريماس وفليب هامون :

1.1.جهود فلادمير بروب (1895/1970م):

لا يمكن بأي حال من الأحوال إغفال دور فلادمير بروب (Vladimir Propp)في الدّراسات المهتمة بسيمياء الشّخصيات، إذ يعدّ بروب أحد أكبر نظّار المدرسة الشّكلية الرّوسية، فلقد أحدث كتابه الموسوم "مورفولوجية الحكاية الخرافية الروسية " 1982، تحوّلا كبيرا في تاريخ الدّراسات السردية للقصة و الرواية، و كان يصبو من وراء ذلك إلى تحديد كتلة شكلية عامّة للرواية، فقد" قام

بروب بجمع مائة حكاية روسية ودرسها دراسة وصفية ، حيث توصل من خلال دراسته هذه إلى ما أسماه " بالنموذج الوظائفي "، الّتي تمثّل الكتلة الشكلية العامة، و لقد استنتج بوب أن هذه الوظائف –الإحدى و الثلاثين- هي عناصر ثابتة والمتحولة هي الشّخوص وصفاتها وأسمائها، فلقد أبعد بروب الشّخصيات و مبرراتها النّفسية لأنّها مبررات متحوّلة و اهتم بأعمالها (الوظيفة) .(بورايو، 1994، ص:20)

وهكذا فقد عمل بروب على دراسة الشّخصية الروائية دراسة مورفولوجية "ركّز فيها على وظائف هذه الشخصية، وخلص من خلال تحليله لمائة حكاية روسية إلى أن الثّابت في كل الحكايات هو وظائف الشخصيات، وليس الشخصيات في حد ذاتها بل أعمالها (وظائفها)"(بنكراد، 1994،ص:99). و منهج بروب هو منهج بسيط يهتم بالشّكل المتمثل في وظيفة الشخصية ،و هو واحد من العناصر المشكلة لبنيتها و بالمقابل أهمل بروب تماما جانب المضمون .(معلم،2011،ص،313).

2.1جهود ألخيرداس جوليان غريماس (1917–1992م):

لقد برزت جهود أ.ج.غريماس (Algirdas Julien Greimas) بعد بروب، حيث استثمر جهود سابقيه ، " فتجاوز في نموذجه الوضع الدّاخلي للشّخصية (أي الشّخصية بصفتها وحدة معجمية) إلى الوضع الخارجي، أي من المستوى التّركيبي إلى المستوى الدلالي"(المرجع نفسه، 316)، وحاول مقاربة الشّخصية من خلال ما سماه بالمسار التّوليدي، وهو مسار تحكمه بنيتان أساسيتان: بنية عميقة وبنية سطحية. تتألف البنية العميقة من مستويين ينهض كلّ منهما على مكونين: دلالي و تركيبي، وتتألّف البنية الخطابية السّطحية من مستوى واحد ينهض بدوره على مكونين دلالي وتركيبي. كما أنّ غريماس قد استبدل مصطلح الشّخصية بالعامل في السيميائيات السّردية لأنّه " رأى أن العامل لا ينطبق

فقط على الإنسان بل يتعدّاه إلى الحيوان و الأشياء و حتى التصورات، عكس مصطلح الشخصية الذي يلتبس مفهومه عند التطرق إلى قضية الجنس (إنسان/ حيوان)"(بنكراد،2003، ص:92).

3.1.جهود فليب هامون(Felipe Hamon) :

لقد قدّم هذا الباحث أهم الدّراسات الحديثة حول السيميائيات الشخصية السردية، و ذلك من خلال نظرته الشّمولية لهذه الشّخصية في جانبيها النحوي والأدبي، و مقترحات هامون ترتكز كثيرا على المفهوم اللّساني و هذا شيء طبيعي عند النقّاد المحدثين الّذين نهلوا من روافد اللّسانيات الحديثة بحيث نجده يقول :" إنّ اشتغال وحدة خاصّة تسمى الشّخصية داخل ملفوظ هو مشكل إذا أردنا أن يعود إلى النحو الوظيفي سابقة في الأهمية على الأدبية ذاتها (معايير ثقافية وجمالية)" (معلم،مرجع سابق،ص:319).

"فلقد حاول هامون أن يستفيد من دراسات سابقيه، و اعتبر مفهوم الشخصية مرتبطا أساسا بالوظيفة النحوية التي تقوم بها داخل النص " (بحراوي، 1990، ص:213)، وقد قسم هامون الشخصيات على ثلاث فئات تقابل ثلاثة نماذج كبرى للعلامات، هي:

-شخصيات مرجعية .

-شخصيات إشارية .

-شخصيات تكرارية .

وعلى وفق رؤيته هذه توصف الشّخصية بأنّها ((مفهوم سيميولوجي و وحدة دلالية، وهي أيضا شكل فارغ تقوم بنيته على الأفعال و الصفات، و تكتسب معناها و مرجعيتها من خلال سياق الخطابات ، ولا تكتمل إلاّ حينما تنتهي الصفحة الأخيرة للنص، فباكتماله تكتمل الشّخصية و تتحدّد علاماتها))(نقلة، مرجع سابق، ص:41). و تظهر هذه الشّخصية حسب هامون و يكتمل مدلولها

بفعل طبيعة العلاقات الّتي تقيمها الشّخصية مع باقي الشّخصيات في الرواية، إضافة إلى هذا فإنّ ": الشّخصية الرّوائية تولد من المعنى، و الجمل الّتي تتلفّظ بها، أو من خلال الجمل الّتي تلفظها غيرها من شخصيات النص الروائي "(شريبط أحمد شرسيبط،ص:204).

ومن أهم المحاور الّتي حاول هامون تحليل الشّخصية الروائية من خلالها نجد (دال الشخصية / مدلول الشخصية) و(توزيع العوامل) و ذلك انطلاقا من أنّها:"وحدة دلالية قابلة للتحليل و الوصف، أي من حيث هي دال و مدلول و ليس كمعطى قبلي و ثابت "فمن حيث هي مدلول نجد الكتاب يقدمون شخصياتهم بطرق مختلفة بين الإفصاح، والإخفاء و بين المباشرة و الإيهام أو الوصف .

و فيما يخص "توزيع العوامل " نجد هامون لا يخرج عن سابقيه في إقامة نموذج عاملي منظّم لكلّ مقطع سردي، من حيث توفّر العوامل الّتي قام بتوزيعها و تحديد أدوارها "زوزو،2006، ص:11) ، و ذلك حسب نوع الفئة التي وُجدت فيها : مرجعية ، إشارية ، تكرارية .

2. تحليل شخصيات رواية "رجال في الشمس "وفق تصورات هامون :

وفي هذه الدّراسة التّطبيقية لرواية " رجال في الشّمس " للروائي غسان كنفاني وهو قاص و روائي و صحفي و مقاوم فلسطيني ولد بعكا 1936 م، و توفي بعد أن اغتاله الكيان الصهيوني سنة 1972م. سنحاول تسليط الضوء على ثلاثة عوامل مهمّة وفق تصوّر فليب هامون وهي : أ-توزيع العوامل. ب- دال الشخصية. ج- مدلول الشخصية .

1.2. مدلول الشّخصية :

لقد قدّم فليب هامون الشخصية على أنّها معطى مشكّل من دال ومدلول وليست معطى ثابت "(بحراوي،مرجع سابق، ص: 213) -كما أوضحنا ذلك آنفا – و تمتاز الشّخصية كونها مدلولا، بمجموعة من الصّفات و الوظائف والعلاقات فيما بين العوامل، و قد قدّم لنا هامون ترسيمتين واحدة خاصة بصفات

الشّخصية تتضمّن أربعة محاور موضوعاتها : **الجنس، الأصل الجغرافي، الإيديولوجيا، الثروة.** ومنطقه في ذلك تكرار هذه الصفات داخل الملفوظ الحكائي.

وأمّا التّرسيمة الأخرى فهي خاصة بوظائف الشّخصيات و هي مكونة من ستّة محاور : **الحصول على مساعدة، توكيل، قبول التعاقد، الحصول على معلومات، الحصول على متاع، مواجهة ناجحة** . ومن خلال هذه المقاييس تتحدّد صفات ووظائف الشّخصية الروائية .حسب تصور هامون :

أ- صفات الشخصية و وظائفها :

و في رواية (رجال في الشمس) لغسان الكنفاني نجده يعطي بعض الصفات لشخصياته إما بطريقة مباشرة أو بطريقة يصل إليها القارئ بنفسه ففي شخصيته الرئيسية (أبو الخيزران) نجده يحددها كالآتي :

أ)-الجنس : ذكر وذلك بقوله :"...فهو رجل طويل القامة جدّا نحيل جدّا ،و لكن عنقه و كفيه تعطي الشعور بالقوة و المتانة ..."(كنفاني،2003، ص:25).

ب)-الأصل الجغرافي : فلسطيني يعيش في الكويت و ذلك من خلال قول أسعد ": يبدو لي أنك فلسطيني يا أبا الخيزران "(كنفاني،المصدر نفسه، ص:34).

ج)-الأيديولوجيا :فيما يخص الأيديولوجيا السياسية فقد تخلى عن وطنيته بعد أن (فقد رجولته) في حادث انفجار سيارة مفخخة كان الكيان الإسرائيلي قد وضعها يقول غسان الكنفاني ": ...قد خدم في الجيش البريطاني في فلسطين قبل عام 1948 أكثر من خمس سنين ، ثم عاد و انضم إلى فرق المجاهدين ..."(المصدر نفسه، ص: 37).أما فيما يخص الأيديولوجيا الدينية ، فأبو الخيزران هو شخصية ملحدة غير متدينة حيث يقول و هو في الصحراء في طريقة إلى الكويت : " يا إلهي العلي الذي لم تكن معي أبدا ،الذي لم تنظر إلي أبدا ، الذي لا أؤمن بك أبدا . أيمكن أن تكون هنا هذه المرة"(المصدر نفسه، ص:56).

د)-الثروة :هو فقير يعمل عند رجل كويتي ثري يقول :" يجب أن تنتبهوا إنها ليست سيارتي ..أنا رجل فقير أكثر منكم جميعا و كل علاقتي بالسيارة أنني سائقها . صاحب هذه السيارة رجل ثري معروف "(المصدر نفسه ص:37).

فلقد جاءت معظم هذه الصفات التي تدل على أهمّ شخصية و هي (أبو الخيزران) على لسان السارد ، و هذه الصفات قد تتعارض أحيانا و قد تتطابق أحيانا أخرى مع باقي شخصيات الرواية (أبو قيس ، أسعد ، مروان) .

أما الوظائف التي حدّدها هامون في ترسيمته فإنها تبرز شخصيات الرواية بالشكل التالي :

1)-الحصول على مساعدة : شخصية أبو الخيزران هي المساعدة و أبو قيس وأسعد و مروان هم المستفيد الأول من المساعدة (الفرار من فلسطين إلى الكويت) و ذلك من خلال قول السارد :"قال أسعد و هو يخاطب أبا الخيزران : ...أأنت الذي ستتولى تهريبنا ؟ فقال(أبو الخيزران) نعم أنا ."(المصدر نفسه، ص:34).

2)-توكيل : و ذلك بتوكيل أبي الخيزران مهمة التهريب أو التدليل و جعله الشخصية القائدة لباقي الشخصيات الأخرى .

3)-قبول التعاقد : تتمثل هذه الوظيفة في قبول الشخصيات الثلاثة (أبو قيس وأسعد و مروان) لطلب أبو الخيزران لمبلغ : 10 دنانير .من خلال قول السارد:"...أولا كل واحد منكم سيدفع عشر دنانير .موافقون ؟...أسعد : حسنا سنعطيك .لكن كيف ستأخذنا ؟...ها نحن في شغل الجد..اسمع .."(المصدر نفسه، ص:34-36).

4)-الحصول على معلومات : و قد تجسدت هذه الوظيفة في الحوار الذي دار بين الشخصيات الرئيسية على امتداد الرواية حول :-سعر الرحلة –مدى أمان طريق الرحلة –أخبار الهاربين إلى الكويت و أحوالهم ، سواء من نجح منهم و من لم ينجح ...الخ.

5)-الحصول على متاع : و كان المتاع هنا عبارة عن مبلغ مالي تحصل عليه أبو

الخيزران من العوامل الأخرى ،و قد كانت قيمة المبلغ المالي 10دينار عن كلّ فرد من الأفراد الثلاثة ،إضافة إلى أخذه ساعة مروان –لكن كان ذلك بعد موت العوامل الثلاثة –و يظهر هذا جليا من خلال قول الكاتب :"...و لكنه ما لبث أن تنبه إلى أمر ما بعد أن قطع شوطا فأطفأ محرك سيارته من جديد ثم عاد يسير حيث ترك الجثث فأخرج النقود من جيوبها .و انتزع ساعة مروان و عاد أدراجه إلى السيارة." (المصدر نفسه، ص: 72).

غير أن وظيفة – المواجهة الناجحة –فلم تتوفر في هذه الرواية تقريبا و ذلك راجع إلى أن الرواية أخذت أحداثها سبيلا حكائيا مغايرا .

لقد جعل هامون الشخصية من خلال هذه الصفات و الوظائف :"مدلولا قابلا للتحليل و الوصف :"و هذا المدلول عبارة عن جمل تتلفظ بها الشخصية أو يتلفظ بها السارد و تعتبر مجموعة أوصاف الشخصية ووظائفها و مختلف علاقاتها " (معلم،مرجع سابق، ص:213).

غير أن غسان الكنفاني ليس ميالا إلى إعطاء معلومات متراكمة حول صفات الشخصية ووظائفها و ذلك من خلال اعتماده على فرضية تقول أن الشخصية المتروكة بدون أوصاف ،يمكنها أن تكون أكثر حضورا في الرواية من الشخصية الموصوفة بوضوح .

ب – علاقات الشخصيات ببعضها البعض :

هي خطوة إجرائية تتم عن طريق أخذ مقارنات بين صفات الشخصيات ووظائفها، وذلك عن طريق العلاقات الضدية (التشابه و الاختلاف) ، و لو أخذنا مثلا محورا من المحاور الأربعة الخاصة بصفات الشخصيات وهو الثروة كما قدمه هامون فإننا سنتوصل إلى مجموعة لا متناهية من العلاقات الضدية ،و هذا المثال يبرز علاقة الشخصيات بعضها ببعض :

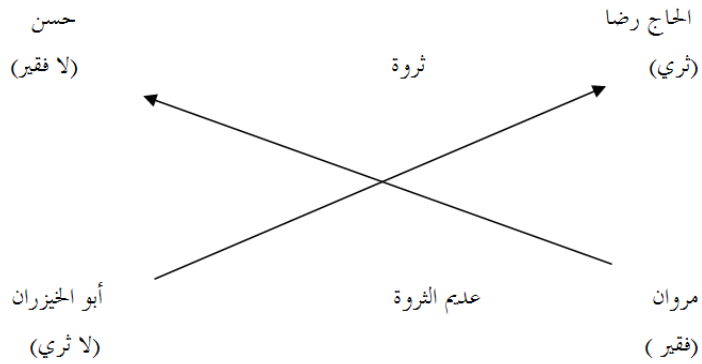

وتضم رواية (رجال في الشمس) عالما بانوراميا زاخرا بشخصيات متفاوتة الأنماط والعلاقات من حيث :الوطنية /الخيانة ، الغنى/الفقر ، السعادة /الشقاء ، العدالة /الظلم ، القوة /الضعف ، الشباب/الشيخوخة ، النبل /الدنائة ، الرقة /الغلظة، الوطنية/خيانة الوطن، و كل هذه العلاقات الضدية يمكن استثمارها حسب ترسيمة هامون ،حتى تتوضح الشخصيات الروائية المشاركة في رواية (رجال في الشمس).

ج – تصنيف الشخصيات :

رواية (رجال في الشمس) هي ثرية بشخصياتها ، "و بعض هذه الشخصيات مشارك أساس ،وذو حضور متواتر في أحداث الرواية ، في حين لا يؤدي بعضها الآخر إلا دورا ثانويا فيها ، و منها ما يدلي الراوي عنه أوصافا و خصائص كثيرة (جسمانية أو نفسية أو عقلية)، و منها ما هو قليل الأوصاف ،و أحيانا مجهول الهوية ."(نفلة،مرجع سابق، ص:46).

ومن أجل تصنيف هذه الشخصيات لمعرفة الشخصيات الرئيسية من الثانوية دلاليا يعتمد هامون على محور التواتر ،و لذلك قد قدم ترسيمة تضمنت ستة محاور :مواصفة وحيدة ، مواصفة متكررة ،احتمال وحيد ،احتمال مكرر ، فعل وحيد ، فعل مكرر ، حيث يمكن لهذه المحاور التي حدّدها (هامون) فرز شخصيات روايتنا إلى شخصيات رئيسية و أخرى ثانوية حسب الجدول التالي :

الشخصيات الرئيـــــسية	الشخصيات الثانويـــــــــــة
مواصفة متكررة/فعل متكرر/احتمال مكرر : -أبو الخيزران . -الرجل السمين . -أبو قيس. -أسعد. -مروان .	مواصفة وحيدة /فعل وحيد/احتمال وحيد: -زوجة أبوقيس. -الأستاذ سليم . -سعد . -أبو العبد. -عمّ أسعد. -أبو باقر....الخ.

إنّ ما يوضحه هذا الجدول هو : -الشخصيات التي تكررت أوصافها (الجسمية والعقلية و النفسية) و تكررت أفعالها و احتمالاتها هي شخصيات رئيسية في رواية (رجال في الشمس).

-أمّا الشخصيات التي قلّت أوصافها و أفعالها و احتمالاتها داخل الرواية هي شخصيات ثانوية حسب ترسيمة (هامون).

2 .2 توزيع العوامل :

لقد حدّد هامون نموذج عاملي منظم لكل مقطع سردي ، مستعينا بمحورين هما: **محور التواتر** و **المحور التوزيعي** للوصول للبنية العاملية للمقطع :" و هكذا فإن مقطعا للتعاقد ، يمكن أن يحدّد استبداليا باعتباره يقيم علاقات شبه ثابتة و دائمة مابين مجموعة من العوامل ،هناك مرسل يلقي بموضوع إلى المرسل إليه (يتكون من رغبة و من برنامج و إرادة في الفعل) و يحول المرسل إليه إلى ذات مالكة لرغبة وبرنامج للإنجاز ".(هامون،2013، ص:54).

والمجموع العاملي في الرواية حسب هامون يتوزع على ناحيتين هما : الناحية التوزيعية و الناحية التواترية ، حيث يتوزع هذا المجموع العاملي -في رواية (رجال في الشمس)

–من الناحية التوزيعية كالآتي :

1–توكيل : يقترح أبو الخيزران على أبي قيس و أسعد و مروان تهريبهم بمبلغ 10دينار ، و يبدي رغبته في الفعل .و نفس الشيء قام به الرجل السّمين لكن طلب مبلغ 15دينار.

2–قبول : قبول المرسل إليه (أبو قيس، أسعد، مروان)لتوكيل أبو الخيزران و رفضهم لتوكيل الرجل السمين.

–ومن خلال (القبول)تحوّلت ذات أبو الخيزران من ذات محتملة إلى ذات محققة أو ممكنة.أما ذات الرجل السمين فتحولت من ذات محققة إلى ذات محتملة ، وذلك من خلال (الرفض).

ويكمُن المستوى التوزيعي في النموذج العاملي عن طريق "التعاقد" بين المرسل والمرسل إليه، و ذلك بغية الوصول إلى البنية العاملية للمقطع،أو لمجموع النسق الروائي.

أمّا الترسيمة التالية فتوضح المحور الثاني للوصول إلى البنية العاملية و هو "المحور التواتري" القائم حول **الرغبة و البرنامج و إرادة الفعل**

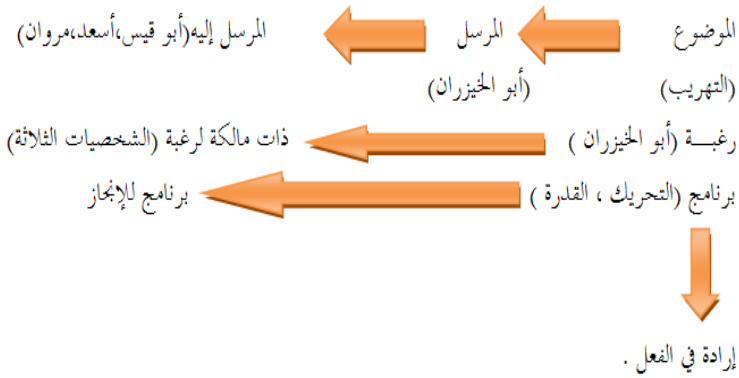

وتعود شخصيات رواية (رجال في الشمس) في مجملها إلى فئة "الشخصيات المرجعية"التي حددها (هامون) و التي تضم الشخصيات الاجتماعية ، حيث تحكي الرواية قصة ثلاثة أشخاص من أصل فلسطيني و من فئات عمرية مختلفة و من

طبقات اجتماعية مختلفة هم "أبو قيس" و هو ذلك الشيخ الكبير في السن الذي يمثل فئة كبار السن المتمسكين بأرض الأجداد. غير أنه شديد الفقر أراد السفر إلى الكويت لجلب بعض المال لشراء عرق أو عرقين لشجر الزيتون، و تحسين ظروفه المعيشية.

و الشخصية الثانية هي شخصية أسعد و هو شاب وطني يطارده الاحتلال الإسرائيلي و هو لاجئ سياسي في الأردن يودّ التحرّر بأفكاره أكثر، كما أنه يريد السفر إلى الكويت حتى يجمع مالا يتزوج به من شفيقة ابنة عمه. و عليه فهو يرغب في السفر إلى الكويت تحررا و رزقا .

أمّا الشّخصية الثّالثة فهي مروان البالغ من العمر 16سنة و قد جعلته ظروفه المادية يترك مقاعد الدراسة و جعلته يرى مستقبله بعيدا عن أرضه الأم فقرر الهروب إلى الكويت ، كما فعل أخوه زكرياء من قبل .

ومن ثم كانت رغبة الذات (أبو قيس و أسعد و مروان) في الموضوع و هو الهروب بمساعدة أبو الخيزران مقابل مبلغ من المال ، يقول السارد :"... رفع أبو قيس كفه في الهواء موافقا ،و هز مروان رأسه ،فالتفت أسعد إلى أبي الخيزران ...لقد رأيت الشباب سلموني الأمر،فدعني أقل لك شيئا : إننا من بلد واحد..."(كنفاني،المصدر نفسه، ص: 35)بخاصة لما توفرت لهم فرصة الهروب في سيارة مرخصة لاجتياز الحدود غير أن الهروب إلى الكويت بلد البترول والمال ليس بالأمر الهين، فالطريق وعرة و حرس الحدود يملؤون الطريق بين البصرة والكويت، فما كان لهم من حيلة سوى أن يلجؤوا إلى المهربين ،و كان الرجل السمين(هو من البصرة) أوّل وجهاتهم لكن هذه الشخصية لم تتحقق بسبب رفض الشخصيات الثلاثة لعرضها و المتمثل في مبلغ مرتفع من المال بقيمة15دينارا مقابل تهريبهم . وقد استطاع أبو الخيزران أن يكون وكيل المهمة بعد أن حقق قبول الشخصيات الثلاثة و أبدى إرادته للفعل من خلال تخفيض سعر عملية التهريب إلى 10دينار. وأثناء قيام هذه الشخصيات لبرنامج الانجاز المتمثل في الهروب داخل الخزان ،

اعترضت طريقهم شخصيات معارضة و معيقة تمثلت في حرس الحدود (الموظفون الثلاثة)الذين كانوا في مركز الاطلاع على الحدود العراقية الكويتية و على رأسهم الموظف السمين (أبو باقر).

3.2. دال الشخصية :

يتم تقديم الشّخصية، و وضعها على خشبة النص اعتمادا على دال منفصل، أي على مجموعة متناثرة من الإشارات الّتي يمكن تسميتها ب "سمة" الشّخصية، وتتحدد الخصائص العامة لهذه السمة في جزء هام منها .بالاختيارات الجمالية للكاتب ."(هامون،مصدر سابق، ص:58).

لقد بيّنت الأبحاث البنيوية أن اسم الشخصية يسهم و بقدر ما في تحديد مدلولها بصفة خاصة و عملية بنائها بصفة عامة ،و الاسم هو أولى العلامات الدالة على الذات ، كما أنه يعدّ اللّافتة الأولى للهوية التي يدخل بها الشخص في المجتمع ، والاسم هو من الوسم و السمة التي توضع على الشيء فيعرف به، والوسم هو العلامة .و أي علامة لابد أن تكون قادرة على إحضار الغائب لأجل تمثيل المعنى الداخلي (الفكرة) عن طريق سطحها الخارجي (اللغة).

وفي إطار العمل الأدبي يوصف الاسم بـ ((أنّه تحديد انتقائي يلوح شاخصا كدلالة على النص))(نفلة،مرجع سابق، ص:85).

إن الروائيين لا يختارون أسماء شخصياتهم بطريقة اعتباطية و أنما بطريقة انتقائية مقصودة في أغلب الأحيان ، فمثلا(زولا تردد كثيرا و هو يهيئ روايته "سعادة السيدات "، بين اختيار لويز أو دنيز اسما للبطلة)(هامون،مصدر سابق، ص:59).

وفي روايتنا هذه نجد صاحبها غسان الكنفاني قد انتقى أسماء شخصياته بعناية كبيرة حيث ربط دالها بمدلولها ، فقد وضع أسماء منسجمة ومناسبة لشخصياته بحيث تحقق للنص مقروئيته و للشخصية احتماليتها ووجودها كأن يطلق أسماء تعبر عن الحالة الاجتماعية أو الجسمية أو النفسية أو أن يضع أسماء مجازية أبعد ما تكون في

الدلالة عليهم .فاسم أبو الخيزران هو مكون من جزأين أحدهما يحمل لفظة (أبو) وهي اسم من الأسماء الخمسة التي تعني والد ،و اللفظة الثانية (الخيزران) هو نبات ليّنٌ يمتاز بالقوة و الصّلابة . وكأن الكاتب وضع هذا الاسم بغية وسم صفاتها وأفعالها، فلم يضع بجانب لفظة (أبو) اسم إنسان ليدل على أُبُوة أبي الخيزران. لأن أبا الخيزران فاقد للرجولة (عاجز جنسيا) ومن المستحيل أن يقدر على الإنجاب . حيث تلعب هذه الشخصية دور الرّجل القوي البنية الطويل القامة، و إذا انحنت رقبته أصبح يشبه شكله شكل عصا الخيزران تماما ": لأول مرة منذ رآه لاحظ الآن أن منظره يوحي حقا بالخيزران ،فهو رجل طويل القامة جدا، نحيل جدا، ولكن عنقه و كفيه تعطي الشّعور بالقوّة و المتانة، و كان يبدو لسبب ما أنه بوسعه أن يقوّس نفسه، فيضع رأسه بين قدميه دون أن يسبّب ذلك أي إزعاج لعموده الفقري أو بقية عظامه ".(كنفاني،مصدر سابق، ص:25) .

وهذا النوع من الوصف قد تحدث عنه الناقد عبد الملك مرتاض في معرض حديثه عن الشخصية في الروايات التقليدية إذ تصبح الشخصية على حد قوله ": كائن حي له وجوده الفيزيقي ،فتوصف ملامحها، و قامتها، و صوتها ، وملابسها ..."(بوجملين،2012/2011، ص:91)

و هذه الشخصيات كغيرها من الشّخصيات تخضع لنسق ثنائي أخلاقي واجتماعي ساهم في بنائها ولا يمكن فصل هذين النسقين عن بعضهما البعض ، فلربما هي الظروف الاجتماعية التي يعيشها أبو الخيزران من فقر و حاجة و عدم القدرة على الزواج بسبب عجزه الجنسي و فقدانه للرجولة هو ما جعل منه شخصية انتهازية واستغلالية وشخصية قاسية لا تهتم بمعانات الشباب الفلسطيني ، كما تحيل هذه الشخصية أيضا إلى القيادة الفلسطينية العاجزة عن حماية شعبها ،أو القيادة الانتهازية الفاشلة التي لا تهتم سوى بمصالحها الشخصية وتهمل قضيتها الكبيرة وهي (الحرية).

كما نجد كذلك اسم شخصية ثانية غنية بالدلالة و الرمزية هي شخصية "الرّجل

السمين " و قد تشكل الاسم من جزأين هنا هما الصفة و الموصوف "الرجل" (موصوف) – "السمين" (صفة) و مما لا شك فيه أن اختيار مثل هذه الصيغ لأسماء الشخصيات سوف يُغنيها بالدّلالة و الإيحاء، و قد فضل الكاتب أن ينعته بالسّمنة بدل أن يضع له اسما لأنها شخصية عديمة الإنسانية ، فما يُلفيه القارئ عن شخصية الرّجل السّمين في الرواية هو منعكس تماما على هذا المدلول، لأن أفعاله كلّها بعيدة عن الرحمة و الإنسانية ،بل هي لا تنم إلّا عن قسوة قلبه و فظاظة سلوكه، و هذه الشخصية منذ بداية الرواية لم تبتعد عن كرسيها يقول السارد:"...خمسة عشر دينارا .ألا تسمع ؟كان الرجل السّمين الجالس وراء كرسيه ،المتصبب عرقا ، يحدق إليه بعينين واسعتين ...".(كنفاني، مصدر سابق، ص:11) ففي اعتقاد الكاتب أنّ هذه الشّخصية ترمز إلى السياسيين العرب الذين يجلسون في كراسيهم و يسمنون من أموال الشعب الفلسطيني المحتل ، كما أن هذه الشخصية قد سمنت من أموال الفلسطينيين الفارين من الحرب ،بل هو يستغل فرصة بقاء فلسطين تحت الاحتلال الإسرائيلي ،و لا يهمه أمرها ،و لهذا هو مرتاح جسمانيا .مما جعل الشخصية تلعب في الرواية دور الوضاعة و الدناءة.

وكانت علاقة شخصية "الرجل السمين " بالدور في الرواية هي : تصوير لفئة من الناس الانتهازيين، والاستغلاليين و عديمي الإنسانية –كما قلنا ذلك سالفا–، و قد مثّل الموقف العربي من القضية الفلسطينية ، فالكاتب قد أختار الكُنية لتتلاءم مع دور الشخصية في الرواية ":لأن إعطاء مظاهر خارجية تحدد كينونة العنصر البشري على وفق ما تقتضيه القصدية التي وُضع من أجلها الهدف المطلوب لا يقتصر –فحسب–على الفعل و السمة و ملامح الهيئة الشخصية الخاصة به، فقد يكون للاسم الموضوع دور بالغ في الإيحاء بدلالة ذلك عامة ، إذ ((يحدّد الاسم الشّخصية داخل الرّواية و يجعلها معروفة))، كما أنه ((يمكن أن يكون الاسم (الكُنية) عنصرا هامّا في التّضعيف الدّلالي)).(نفلة،مرجع سابق،ص:90).

أمّا أبو قيس و هو رجل كبير في العمر و أب لأطفال لذا أضاف الكاتب كلمة

(أبو) دلالة على أنه أب لطفل اسمه (قيس) و "أبو" هي اسم من الأسماء الخمسة و قد أُضيف لها اسم "قيس" (مضاف إليه) ومثل هذا الاقتضاء و التركيب–المبتدأ و المضاف إليه– يجعل اسم الشخصية ينفتح على سيل من الدلالات والتأويلات، حيث تمثل هذه الشخصية دور الآباء المتمسكين بالأرض و تمثل هذه الفئة ركيزة مهمة من ركائز المجتمع الفلسطيني يقول السارد": أراح أبو قيس صدره فوق التراب الندي ،فبدأت الأرض تخفق من تحته ،:ضربات قلب متعب تطوف في ذرات الرمل مرتجة ثم تعبر إلى خلاياه..."(كنفاني، مصدر سابق، ص:02).

يمثل أبو قيس فئة من الفئات التي يتشكل منها هذا المجتمع، هي فئة الشيوخ الذين تربطهم بالأرض روابط قويّة ، فهو جزء من تلك الأرض غير أن أبا قيس يريد أن يهاجر إلى الكويت ليجني بعض المال يشتري به بضع عروق لأشجار الزيتون ، وربما يبني غرفة صغيرة لأسرته إن بقي له بعض المال .

لقد كان دال الشخصية مطابقا لمدلولها فكلمة قيس تدل على الصعوبة و الجوع والشدّة و المعاناة و قسوة العيش، و هذه الشّخصية هي من نفس طينة شخصية "أسعد" غير أنّ أسعد يمثل فئة الشباب الفلسطيني الّذي يبحث عن سعادته خارج أرضه، و أسعد هو شاب مُطارد من قبل الاحتلال لأنه سياسي مناضل .ودال شخصية أسعد يتناقض مع مدلولها غير أن الكاتب رأى في اختياره هذا بعدا آخر فلطالما وضع الآباء أسماء لمواليدهم طمعا أن ينال هؤلاء المواليد نصيبا من أسمائهم. لكن للأسف فأغلب الفلسطينيين لم ينلهم حظ من أسمائهم.

بينما نجد شخصية "مروان "و قد جاء اسم هذه الشخصية منفردا .حيث تمثل فئة الأطفال الفلسطينيين المعاندين الذين لا يرضون الذل و الاحتلال ، ومعنى "مروان" هو: العنيد و المغامر ، فقد كبر هذا الطفل قبل أوانه .وقد اختار الفرار كما فعل أخوه زكرياء بحثا عن المال و الحياة الكريمة . وحتى الشّخصيات المعارضة كان دال اسمها متناسبا مع مدلوله فمثلا موظف نقطة التفتيش (أبو باقر) كان اسمه متناسبا مع وظيفته و (الباقر) في اللغة هو من بحث في المسألة و فتّش فيها بدقة و إمعان.

ممّا يؤكد أن الكاتب لم يضع شخصياته و أسماءهم عبثا بل فكر مليا و مليا .
و في آخر الرواية يتساءل السارد على لسان شخصيته الرئيسية (أبو الخيزران) بعد موت (أبو قيس و أسعد و مروان): لماذا لم يدقوا جدار الخزان ؟
وتتمثّل الرمزية الأساسية في القصة في عدم دقّ جدران الخزّان حيث أنّ هؤلاء الرجال الثلاثة يموتون اختناقاً في الخزان، دون أن يتجرأ أي أحد منهم على دق جدران الخزان طلباً للمساعدة، والرمزية في عدّم دق الجدران تنبع من الصراخ الشرعي المفقود والمطلوب من الشعب الفلسطيني الذي عاني من التشرّد، دون أن يفكر أبداً في مواجهة هذا الوضع الأليم. وفي الرواية يدين الروائي غسان كنفاني كلّ الأطراف التي تسبّبت بنكبة فلسطين، والقيادة الفلسطينية المنهزمة الانتهازية والشعب المستسلم، وكل الذين تخلّوا عن أرضهم بحثاً عن الخلاص.

3.خاتمة:

من هنا يمكن القول إن الدراسة السيميائية للشخصيات قد حضيت باهتمام كبير من طرف النقاد و السيميائيين نظرا لما تقدّمه تلك الدّراسة من تحليل للشّخصيات داخل العمل الأدبي، كما تعتبر الشّخصية أهمّ ركائز العمل الروائي، ومركز استقطاب مجمل أبعاده الفنية، و ذلك لاعتماد كلّ عنصر فيه بشكل أساس على فاعلية نشاطها الحيوي عبر ما تصدره من أقوال و أفعال تتبلور على إثرها أحداث الرواية المترابطة.

ونظرا لهذه الأهمية التي تحضى بها الشخصية داخل العمل الروائي فقد اهتم العديد من الباحثين اللّسانيين و السيميائيين بتحليلها و دراستها، و على رأسهم ما قدمه كلّ من فلادمير بروب و الجيرداس جليان غريماس و فليب هامون لهم الفضل الكبير في تأسيس ما يسمى بالسيميائية السّردية و إرساء معالمها.
وقد تمكنا من خلال هذه الدراسة الكشف عن بناء الشخصية في رواية (رجال في الشّمس) لغسّان الكنفاني و ذلك بالاستعانة بما أفرزته جهود الباحث (فليب هامون) حول ثلاثة محاور مهمة هي، النموذج العاملي و دال الشّخصية و مدلولها.

وقد نوّع غسان كنفاني في اختيار شخصيات الرواية من كلّ الفئات العمرية و من كلّ القناعات الأيديولوجية ،ومن كل الطبقات الاجتماعية و مختلف الأهداف والدوافع وهذه الشخصيات وتسمياتها هي مستمدة من واقع النص ، وطبيعته وجغرافيته، كما هي جزء لا يتجزأ من واقع الأديب و رؤيته للعمل الأدبي.

وللشخصية عند فليب هامون : صفات ووظائف و أدوار اسم، وعلاقات، وتصرفات، وطبائع ، وسلوكات، وبهذا يكون هامون قد وسّع في حقل السيميائيات السردية .

4. قائمة المصادر و المراجع:

- بحراوي حسن،(1990)، بنية الشكل الروائي"الفضاء، الزمن، الشخصية،ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء.

- بوجملين مصطفى،(2012/2011) "المصطلح السردي عند عبد الملك مرتاض كتاب في نظرية الرواية أنموذجا "، (مذكرة ماجستير) جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،الجزائر .

- بنكراد سعيد،(2003/1423) سيميولوجية الشخصيات السردية (رواية الشراع و العاصفة لحنا مينة نموذجا)، ط1، دار مجدلاوي ،عمان ، الأردن .

- بنكراد سعيد ، (1994)،شخصيات النص السردي البناء الثقافي ، منشورات جامعة المولى إسماعيل، مكناس.

- بورايو عبد الحميد،(1994)، منطق السرد :دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجزائرية ، الجزائر ،.

- زوزو نصيرة،(مارس : 2006) ، "سيمياء الشخصية في رواية حارسة الظلال لواسيني لعرج مجلة العلوم الإنسانية ،جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد: 09، 11-24.

- شريبط أحمد شريبط ،سيميائية الشخصية الروائية، ديوان المطبوعات الجزائر.

- كنفاني غسان،(2003) رجال في الشمس، ط: كانون الثاني 2003، المكتب الإعلامي –الجبهة الشعبية ،غزة ،فلسطين.

- هامون فليب،(2013) سيميولوجيا الشخصيات الروائية،ط1 ،دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية، سوريا.

- وردة معلم،(2011)، الشخصية في السيميائيات السردية ، قسم اللغة العربية و آدابها ،جامعة 08ماي 1945 ، قالمة ، الجزائر.